أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

ثم بينت الآيات أنموذج من أوجه اتخاذ الأنداد من دون الله وهو ما درج عليه اليهود ومشركوا العرب من التحليل والتحريم للأطعمة بزعمهم افتراءا على الله، فبين الله للناس جميعا بطلان هذا الأمر وأنه امتن عليهم بأن أباح لهم ما في الأرض جميعًا، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات بشرطين أن يكون حلالًا ليس محرم ولامسروق ولامغتصب، وكذلك طيبًا غير خبيث كالميتة والدم ولحم الخنزير، ونهاهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ووسوسته بالكفر والمعاصي وأكل المحرم وغيرها، كما قال تعالى في الحديث القدسي: {وإني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فصرفوهم عن دينهم} وذلك لأنه عدو لكم بائن عداوته فاحذروا منه، ثم أتى تفصيل إغواء الشيطان بأنه لايأمر إلا بالسوء وهو كل ما يسوء فعله والفحشاء وهي كبائر الذنوب كالزنا وشرب الخمر والقتل، ويأمر بالقول على الله بلا علم في التحليل والتحريم أو يثبت لله اسم أو صفه أو ينفي عن الله ما أثبته لنفسه وذلك من أكبر الكبائر، وهنا ذكر الترقي في المعاصي فإذا قارف السوء وهو الصغائر ثم الفحشاء وهي الكبائر فإنه يجتريء على استحلالها فيقول على الله ما لايعلم.

هداية .... وتدبر

يَا أَيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي	**الأصل في المطعومات الحل** لذا اذا وجدنا نوع لم نجد دليل في كتاب الله وسنه النبي

الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا	على حرمته نرجع إلى الأصل وأنه حلال بشرط ألا يكون ضار ولاسام.
وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	**"المعصية باب مغلق، إذا تجرأت على فتحه مرة يسهل عليك فتحه مرات"** خطوات الشيطان مبدأ كل عمل وهي الخواطر والأفكار التي تتحول فيما بعد إلى إرادة وعزيمة، ثم تترجم إلى فعل ثم مع التكرار تتحول إلى عادة. فصلاح الإنسان بصلاح الخطوة الأولى وهي الخواطر وفساده بفسادها، لذا إذا وسوس إليك الشيطان فاقطع هذه الخطره، فالشيطان يتدرج بالمنكر خطوة خطوة وهي مسافة يسيره لكنه لايقف عندها فيزين الصغائر حتى تألفها النفس فينتقل لما فوقها حتى يصل العبد إلى مرحلة لم يكن يظن يومًا أنه سيصل إليها. مثاله: الذي يشاهد المسلسلات والأفلام الإباحية يبدأ الشيطان بالمسلسل الإسلامي وأنه يستفيد منه، وبإمكانه خفض الموسيقى ثم ينتقل معه الى مشاهد الرذائل بالتدريج ثم يدمن هذه الأشياء ويتشربها قلبه. وكذلك الذي يزني يتدرج معه الشيطان بالكلام مع النساء أو العكس ثم ينتقل إلى الصور ثم بعد ذلك يقع في الفاحشة. وقد يكون ذلك بتدريج من نوع آخر بتأويلات فاسدة يُزينها الشيطان لمن عنده شيء من الورع، والشيطان يأتي لكل أحد من الناس بالطريق التي تصلح لمثله. ما ورد في الإسرائيليات ونوردها استئناسًا فقط: "أن أربعة من بني إسرائيل اكتتبوا في غزوة، وهم إخوة، وكانت لهم أخت فتفكروا كيف يصنعون بها، فاهتدوا إلى راهب في صومعة، فقالوا: قد اكتتبنا في غزوة كذا، وكانوا يُطيلون الغياب في مغازيهم، ويبقون السنة وأكثر من ذلك، وهذه أختنا ليس لها أحد نريد أن نضعها أمانة عندك حتى نرجع، فأبى وامتنع، فقالوا: نبني لها صومعة قريبًا من صومعتك. فقال: شأنكم، فبنوا لها صومعة، فكان هذا الرجل في صومعته لا يخرج منها، ثم يضع الطعام عند باب صومعته من الخارج، ويُغلق الباب، فتأتي هذه المرأة،

وتأخذ الطعام، وترجع إلى صومعتها.
ثم جاءه الشيطان، فقال: هذه عورة وأنت مؤتمن عليها، وأنت أولى بالخروج منها، فهلاّ وضعت الطعام عند باب صومعتها؛ لئلا تخرج، فتكون عُرضة للآفات، فصار يضع الطعام عند باب صومعتها، ثم ينصرف، ثم تفتح الباب وتأخذ هذا الطعام، فجاءه الشيطان فقال: لو أنك حادثتها من وراء الباب، حتى تأنس بصوتك، فهي لم تألف الانفراد، وهي امرأة ضعيفة.
فجعل يجلس خلف الباب، والباب مُغلق، فيُحدث ويُذكر ويعظ، من باب أنه يُدخل عليها شيء من الأُنس والنفع والفائدة، ثم بعد ذلك جاءه الشيطان وقال: لو أنك جلست إلى الباب من الداخل تراك وتأنس برؤيتك، فإنها لم تألف الانقطاع، فتستوحش بعدم رؤية الناس، فصار يجلس داخل الصومعة قريبًا من الباب لتراه ويتحدث، فما زال الشيطان به حتى وقع بها، فحملت، ثم بعد ذلك ولدت، فقتل هذا المولود.
ثم جاءه الشيطان وقال له: أنت الآن تفتضح ويفتضح من وراءك ممن يمثلون الدين، فقتلها ودفنها، فلما جاء إخوتها سألوا عنها، فأثنى عليها خيرًا، ثم قال: هذه بنت نِعم المرأة، صالحة، وقد أصابها مرض شديد، ثم ماتت، وأشار إلى ناحية عند شجرة، وقال: هذا قبرها، فشكروه، ودعوا له، وانصرفوا، فأصبحوا وقد تغيرت نفوسهم ذات يوم، فقال أحدهم: والله لقد رأيت شيئًا لا أدري ما هو، فسألوه عنه فأبى، أن يذكره، فقال الآخر: والله أنا لقد رأيت شيئًا لا أدري ما هو، والثالث والرابع، كلهم قالوا مثل ذلك، فتحدثوا به، وإذا بالخبر بحالٍ من التطابق، فالرؤيا كانت واحدة، فقالوا: ما هذا إلا لشيء، فذهبوا إلى سلطانهم، وأخبروه فجيء بهذا الراهب، ثم بعد ذلك ابتلي وامتحن، فاعترف، ودلهم على قبرها الحقيقي، وأنه قتلها وقتل هذا الغُلام.
ثم جاءه الشيطان، فقال له: أنا صاحبك الذي أوقعك في هذا كله، والآن لا يكون ذلك عليك، وإنما يكون على الدين وحملته، فاسجد لي سجدة واحدة أُخلصك مما أنت فيه،

	فسجد الرجل، فكانت نفسه فيها، فهذه القصة فيها عبرة، وتُمثل هذا النوع من الاستدراج لدى ذوي الورع، كيف يأتيه من باب الورع، فما يزال به حتى يوقعه في الأمر المكروه. ومثاله: الوسوسة في أبواب العبادات مثل الطهارة والصلاة ، وما إلى ذلك، يقول الشيطان: ربما لم تُكبر تكبيرة الإحرام كما ينبغي، ربما لم تمسح رأسك، ربما لم يبلغ الماء المواضع التي يجب أن يبلغها، فإذا أطاعه فإنه يملأ قلبه من هذه الوساوس، ويُفسد عليه العبادة، ويُلبس عليه، ثم بعد ذلك يصير في حال من البلاء والشدة، يُعيد الوضوء أكثر من مرة، وهناك من يترك الصلاة بالأشهر بسبب الوسواس. وكذلك ما يتعلق بالنظر إلى الآخرين، وسوء الظن بهم، فإذا فتح هذا الباب، فإنه ربما يُسيء الظن بكل من حوله، وعند ذلك يستوحش من هؤلاء الناس، ويظن بهم الظنون السيئة، وأنهم يتربصون به شرًا، ولا يريدون به خيرًا، وكل ما تحصل له مصيبة يقول فلان وفلان حسدوني، وإذا رأى اثنين يتحدثان ظن أنهما إنما يتحدثان في أمر يتعلق به، ونحو ذلك، فتكون حاله في غاية السوء في حال لا يمكن أن تُطاق.
	"أحل الله الأرض بأميالها، وحرم خطوات يسيرة منها " (كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الحرية أن تعيش في السعة لا في الخطوات، فالشيطان يتدرج مع العبد حتى لاينفر فطريقه مظلم يحتاج إلى الإيناس.
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	بين الله أنه عدو، فلماذا يطاع؟ فهذا الشيطان كما أخبر الله -تبارك وتعالى- عنه يتوعد ويتهدد {لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً} [سورة الإسراء:62] وكما قال عنه { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ]سورة الأعراف:21] يعني: يحلف الأيمان من أجل الإغواء والإغراء، هو ليس عنده شيء يخسره؛ لأنه خسر رحمة الله، فهو يفعل كل شيء ليتمكن من ابن آدم، بحيث يموت على الكفر، بالبدع، فإن لم يستطع فعلى الكبائر، فإن لم

	يستطع فعلى الإصرار على الصغائر، فإن لم يستطع فإنه يأتيه في النوم، ويُزعجه بالرؤى السيئة، ويُسلط عليه شياطين الإنس، فيؤذونه ويُقلقونه ويشغلونه، هذا فعل الشيطان بابن آدم، عدو مبين.
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ	**{إذا قارف العبد السوء والفحشاء فإنه بعد ذلك يستحلها}.** فيقول: هذا جائز،لاشيء فيه ونحو ذلك، فيستحل، والمسألة قال بها الشيخ فلان، وهذا كثُر في مثل هذه الأوقات فصار كثير من الناس بعد أن كانوا في السابق إذا فعل الواحد المعصية، أو حصل له تراجع أو ضعف، يستحي ويتوب ويئوب إلى الله، أما الآن فيجلس ويُجادل ويحتج، وكأنه لم يفعل شيئًا، ويقول: أنتم تأخذون بأقوال وفتاوى، وأنا يوجد لدي فتاوى، فهذا الأمر لا غضاضة ولا إشكال فيه، وهو حلال، فيتتبع رُخص الفقهاء، فيأكل أموالاً حرامًا، ويضع أمواله في البنوك الربوية، ويسمع ما حرم الله من الموسيقى، ويلبس ما حرم الله، ويشرب ما حرم الله من الخمر وغيره، وكل ذلك على سبيل الاستحلال، والله أعلم.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)}

"التفسير الإجمالي الموضوعي"

ثم بين الله أمر المفسدين بأنهم اذا أمروا باتباع الحق أضربوا عن قول الناصحين، وأعرضوا وقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، وهذا أمر مستنكر أيتبعون آباءهم وما كانوا يعقلون شيئًا من الدين ولايهتدون إلى الصراط المستقيم!!.

هداية .... وتدبر

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	لم يُحدد القائل، فلم يقل: وإذا قال لهم الرسول اتبعوا ما أنزل الله ليصلح ذلك لكل داع، في كل وقت وحين، هذا حال أولئك الذين قد أصمهم الله، وأعمى أبصارهم، فهم لا ينتفعون إذا وجه إليهم الخطاب، ودعوا إلى الله - تبارك وتعالى- سواء كان الذي يُخاطبهم هو الرسول أو كان المُخاطب غيره من الدعاة إلى الله.
	{التعبير بالأمر بالإتباع لأن مبنى ذلك على التسليم والانقياد} فالذي يتبع غيره يكون خلفه، تابعًا له، يقفو أثره، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان مع الوحي في غاية التسليم والانقياد، بدون تردد، إذا سمعت الأمر تقول سمعنا وأطعنا، وإذا سمعت النهي تقول انتهينا ربنا كما قال تعالى {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا }[سورة النور:51] لا يكون في القلب أدنى اعتراض

	على تشريع الله في أحكامه الدينية، ولا على أقداره الكونية، وإنما هو الرضا والتسليم.
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا	**{إذا استحكمت العادات والأعراف في النفوس زاحمت ما سواها ولو كان حقا بينا}** هذا شرك الطاعة والإتباع فهم يتبعون الآباء في العادة فصاروا يستحلون الحرام، ويحرمون الحلال، والله جعل ذلك شركًا {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [سورة الشورى:21]. مثاله: بعض القبائل يأخذون بالثأر من القاتل دون الرجوع إلى الحاكم، فيصل الأمر إلى قتل غير القاتل لمجرد أن الثأر من القبيلة، وكذلك بعض الأسر يسمح الرجل لزوجته وبناته أن يظهرن على رجال أجانب من الأصدقاء والمعارف بزعم أن قلوبهم نظيفة، وهذا كله من الدياثة وعدم تعظيم الحرمات.
أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ	**{كل من أعرض عن الوحي فهو لايعقل ولايهتدي}** فالنفي جاء مُطلقًا (شيئًا) نكرة في سياق النفي، يعني لا يعقلون شيئًا أبدًا، لا قليلاً ولا كثيرًا؛ لماذا؟ لأنهم لايهتدون. هم يعقلون في الأمر المعيشي، وفي أمور الحياة، ومتطلبات المعايش والمكاسب، ونحو ذلك، ولكنه فيما يتصل بالهدى لا يعقلون شيئًا وَلا يَهْتَدُونَ. فالمعيار والمقياس عند الله -تبارك وتعالى- يختلف عن مقاييس أهل الدنيا من الماديين، فالإيمان والعمل الصالح هو الأساس الذي أوجد الله الخلق في هذه الحياة، وخلقهم من أجله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات: 56] فمن ضيع هذا الأصل، وغفل عنه، فقد ضيع الهدف الأساس الأكبر من إيجاده، فتكون خسارته مُحققة؛ ولذلك تجد هؤلاء مساكين في حال من البؤس والشقاء. الله أخبر عن الأولين وكانت لهم علوم ومعارف في أمور دنيوية من وجوه المكاسب والتجارات، والله ذكر رحلة الشتاء والصيف التي كانت للمشركين، وكذلك قوم عاد وثمود وعظمة مصانعهم وأعمالهم وتعميرهم

	للأرض، وكان لهم من الذكاء ولكنهم أوتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاة، أوتوا عقولاً ولم يؤتوا فهومًا، نسأل الله العافية. فقد يكون البليد خير من الذكي الأريب إذا كان هذه البلادة توصل إلى الله، وإذا كان الغِنى والكسب المادي الدنيوي يورث الغرور، فيصد صاحبه عن ربه وطاعته والإيمان به. كما جاء عن النبي { إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة}، { ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان}. فكفى ترفيعًا وتعزيزيًا وتعظيمًا لأقوام ممن لا يهتدون بهدى الله من الوثنيين وغيرهم، فيُضرب بهم المثل لأهل الإيمان في كل شيء للأسف، يُقال لهم: أين أنتم من هؤلاء؟ لهم التطور في مجال الفلك، والاتصالات والطب، وغيرها. وكأن الأمة صارت هي التي لا تعقل شيئًا، وهذا الكلام غير صحيح، إن أولئك من الكفار والوثنيين قد حصلوا من أسباب المعايش الدنيوية والمكاسب وبناء وعمارة الدنيا، لكنهم كانوا أجهل الناس في أهم المهمات، وأعظم الأمور، وهو معرفة المعبود وعبادته وطاعته، والإيمان به، وكذلك الاهتداء بوحيه الذي أنزله على رسوله، فهم أحط الناس لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون.

{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

ثم ضربت الآيات مثلًا يقبح من شأن كفرهم ويبين حالهم من الهداية، وأنهم كأسلافهم يعيشون في عمى، فمثلهم مع الداعي كمثل الراعي الشفيق على من يرعاه، يرشدهم الى الخير، والكفار بمثابة البهائم التي لاحظ لها إلا السماع بلا عقل ولا فهم، لذا الكفار لاحظ لهم من رسالة النبي إلا السماع بدون انقياد وقبول للحق، والذي أوصلهم لذلك انهم صم عن سماع الخير بُكم لاينطقون بمعروف والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء.

هداية .... وتدبر

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً	**"تقليد الباطل يعمي ويضل"** لانهماكهم في التقليد، وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة، واتباع الآباء في غيهم وكفرهم بالله -تبارك وتعالى- صاروا لا يلقون آذانهم إلى ما يلقى إليهم من الوحي ولا يتفهمونه، ولا يتفكرون فيه، فصاروا بمنزلة البهائم، نسأل الله العافية. ولذلك فإن الذي لا يصغى إلى الحق هو بمنزلة البهيمة التي تسمع الصوت، ويرسل إليها الكلام، ولكنها لا تعقل شيئًا، وهذا أمر في غاية السوء، ينبغي على المؤمن أن يتجافى عنه، وأن ينأى بنفسه عن مثل هذا الوصف، ولكن يكون له قلب وقاد، يسمع ويعقل عن الله -تبارك وتعالى- وينتفع بهذا الذي سمعه.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ	**{القلب الحي هو الذي ينتفع بالآيات}** العقل في القلب {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا }[سورة الحج:46] فهذا العقل في القلب فيعقل عن الله -تبارك وتعالى- عن طريق السمع والبصر، فبالسمع يسمع الآيات المتلوة، ويسمع السنة والوحي، وبالبصر يرى الآيات المشهودة، في الكون من خلق السماوات والأرض وغيرها وفي النفس البشرية، فهذان مصدران للعقل والعلم والمعرفة والهدى، فإذا وجد المحل القابل وهو القلب الحي، فإن ذلك يُثمر فيه، فينتفع الإنسان بهذه الآيات، ويعقل عن الله. وأما إذا كان المحل غير قابل، فإن هذه الأسماع والأبصار تكون معطلة، فلا يُبصر إبصارًا ينتفع به، ولا يسمع سماعًا ينتفع به، ويُشاهد الأشياء والعِبر والعظات لكنه لا يصل إلى قلبه. انظروا الآن إلى ما توصل إليه الناس في هذا العصر من أنواع العلوم الدقيقة، وما كشفته العلوم من العجائب الدالة على قدرة الله، وعظيم خلقه، في قعر البحار، وفي جسم الإنسان، وفي هذا الكون الذي نُشاهده، ومع ذلك هل تحول هؤلاء إلى مؤمنين مستجيبين مذعنين؟ الجواب: لا؛ لماذا؟ لأن هؤلاء قد عطلت الأسماع والأبصار عندهم، فلا ينتفعون، بل قد يعزوا بعضهم هذا إلى الطبيعة بعيدًا عن الخالق -تبارك وتعالى- وهكذا ما يُرسله الله من الآيات، كالزلازل والفيضانات والبراكين والرياح الشديدة فهي للإعتبار والتفكر. كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان النبي إذا رأى مخيلة في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه، فعرفته عائشة ذلك، فقال النبي ما أدري لعله كما قال قوم : { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}]سورة الأحقاف: 24 [الآية فكان يخشى -عليه الصلاة والسلام- وهو أعلم الناس بالله، لكن حينما يكون الإنسان أجهل الناس بالله إذا رأى السحاب فرح وضحك بملأ فيه،

	وإذا رأى الخسوف والكسوف لبس نظارة تُمكنه من النظر والرؤية دون ضرر في العين، وأخذ الكاميرا ومُكبر الصور، ثم ذهب إلى الأماكن الفسيحة، وشواطئ البحار، ونحو ذلك؛ ليلتقط الصور، أو يُشاهد ويستمتع بالنظر إلى كسوف الشمس.
	{ القلب هو ملك الجوارح، وهي جنوده، فإذا أصيب بالمرض مرضت الجوارح} الأبصار والأسماع حينما لا ينتفع بها تكون معطّلة، فالقلب هو موضع العقل، والإدراك فإذا عطل من ذلك فيكون هؤلاء لا عقول لهم، وكذلك أيضًا وصفهم بالعمي؛ لكونهم عطلوا أبصارهم عما ينتفعون به، عن استعمالها فيما ينفعهم، والنظر والسمع الذي ينفع ما يكون فيه الاعتبار. ولذلك قال الله -تبارك وتعالى :{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [سورة الحج:46] فالقلب هو الملك، فإذا أصيب بالشلل والعمى، فإن ذلك ينتقل إلى السمع والبصر واللسان، فلا ينطق اللسان بالحق، فيكون من البكم، ولا تسمع الأذن الحق، وتنتفع به، فيكون من الصم، وهكذا العين تكون معطّلة، فالقلب ملك هذه الجوارح، وهي جنوده، فإذا صلح القلب صلح سائر الجسد، كما قال النبي ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ينبغي على العبد أن يتعاهد قلبه وسمعه وبصره وجوارحه، فإذا رأى نشاطًا في معصية الله، وقعودًا عن طاعته، فمعنى ذلك أن العلة صارت عليلة، وأنها تمكنت وصارت قوية، فأقعدته عن الفرائض، وأوقعته في المحرمات، فلابد أن يرجع إلى الله ويتدارك الأمر. ولكن من الناس من يأتي بالفرائض، ولا يفرط فيها، ولكن قلبه يقعده عن النهوض للنوافل والسنن، من قيام الليل، وصلاة النوافل، وصوم النهار، وغير ذلك، فهذا ضعف القلب، وقد يصل الأمر بعد ذلك إلى أن يستحسن بعض الأشياء التي ذمها الله -تبارك وتعالى- وحرمها، وهكذا قد يكره ما شرعه الله، أو بعض ما شرعه الله فيراه

	سيئًا أو قبيحًا، أو غير ذلك.